المشرق

حفلة توزيع الجوائز

بقلم حضرة الخوري مارون الخوري غصن مدرس البيان في مدرسة الحكمة

إن يوم توزيع الجوائز على تلامذة المدارس في مشهد مشهود من الاقرباء والادباء والعظماء والوجهاء لأشبه بيوم القضاء العام فيظهر الحاصلون على الجوائز السنيَّة والاكاليل البهيَّة وعلى وجوههم رونق البشر والابتهاج ويذهب المقصرون والكسالى وعلى وجوههم جهومة الفشل وذلّ الخزي فمن كان يخشى أن يظهر امام ذلك المحفل الحافل بمن اشرت اليهم وليس على رأسه اكليل فلاح ولا في يده جائزة تزدان بنجاح يبذل اقصى ما في وسعه ليحوز السبق رغبةً في أن تجتليهُ العيون مكلَّلاً بغار الظفر متأبطاً من الجوائز ما هو لديهِ افضل من الجواهر

فاستحساناً لهذه العادة الحميدة انشأتُ محاورة شعريَّة تمثل حال التلامذة في ختام السنة المدرسيَّة وهي ذات اربعة ادوار . الاول يمثل تلميذاً قد جدَّ واجتهد ولم يكن لهُ من الذكاء ما يضمن لهُ إحراز الاكليل فاصبح كئيباً يخشى ان يعود الى اهلهِ صفر اليدين . والثاني يمثل تلميذاً لا يعبأ بشيء ولا يهتمُّ بسوى الراحة والاكل والشرب فتفقد حفلة التوزيع ويبهر لمعانُ الجوائز عينيه فيعلم انهُ لم يكن الّا في غرور فيندم ولات ساعة ندم . والثالث يمثل تلميذاً ليس بالكسلان ولا بالمجتهد وهو يخشى ان لا يكون لهُ من الجوائز نصيب فراح يندبُ بحفلة التوزيع حسداً ويقبح هذه العادة الحميدة . واما الدور الرابع وهو الاخير فيمثل تلميذاً استعان بذكائهِ واكبَّ على الدرس والعمل فحاز اسنى الجوائز وانتهُ هشاشة الاهل وبهاء المكافأة ما كابد رقاسي وراء اقتباس المعارف والعلوم وراح يتفاءل بالخير في مستقبل الزمان

سمعان (س) جرجي (ج) هارون (م) ميشال (مش)

س لقد عبر العام المعذّب للنفسِ وصرنا على وشكِ النشور من الرمسِ
ويا طالما بتُّ الليالي ساهرًا مُكبًّا على كتبي لأفلح بالدرسِ
وجيشُ بعوضِ الليل قد رنَّ بوقُهُ وصال عليَّ صولَ عنترةَ العبسي
وكم مرَّةٍ اجفلتُ من وطء قادمٍ وباغتني القتيسُ بُعدًا لذا القسِ
فقد نالني منه شديدُ مضرَّةٍ قصاصٌ وصمتٌ طيَّ ذيّاك الحبسِ
ولا بأسَ في تلك الشدائد كلها اذا نلتُ ازهارَ التقدُّم من غرسي
كأني باتعابِ الدروسِ تزول إنْ رأيت اكاليلَ النجاحِ على راسي
ولكنَّ آمالي بذاك ضعيفةٌ وما لي من ذنبٍ فلم أله بالامسِ
ولكن هو الله العجيبُ بحكمهِ يقرِّبُ باليدِ نالَ مقدرةَ النفسِ
ومثلي وراء النُجحِ يركضُ باطلًا وليس يرى في جيبهِ الدهرَ من فلسِ

(ثم يجلس على كرسي خزيًا فيدخل جرجي ويقول):

ج انا اهزأُ بالكلِ ولا اعبأُ بالشغلِ
فلا يشغلني همٌ على اهتمُّ بالاكلِ
ولا آكلُ الا ما يردُّ الجسمَ كالفحلِ
ولا العبُ في الشمسِ ولكن في حمى الظلِ
ولا اركض في مشيي انا امشي على مهلِ
ولا انهض قبل الظهرِ من نومي فمن مثلي ؟
فنوم الصبح والظهرِ هما عندي كما « المحلي »
ولا اجهد في الدرسِ متى كنت بلا عقلِ
ولا ارضى بان أبقى خفيًّا في دُجى الذلِّ
ولكن لقنّي ان أفوقَ الكلَّ بالشكلِ
وأدعى شابَّ عصرٍ م فيرويني زينةَ السُبلِ
لذا أعنى بصفِّ الشعرِ م والازهارِ والفلِّ
بغيرِ اللهوِ لا ألهو على بالزمرِ والطبلِ

وبالرقص وبالبسطِ وذا قولي وذا فعلي
ولا أكره انسانًا سوى الاستاذ والشغلِ
وبيت الدرس والنظا رِ والفرض مع النَّقلِ
سموتُ الكلَّ من بعدي كما قد فقتُ من قبلي
سلوا الله أيا حظًّا رُ يبقيني لدى اهلي

(ثم يجلس على كرسي أخرى قبالة سمان وبيده شبَّابة ينزف بها)
(يدخل هارون متهكمًا فينظر الى الجوائز فيقول):

فُهِ من هذه الجوائزِ إنها لجديرة بجماعةِ الصبيانِ
عارٌ عظيمٌ أن يشوك مفرقي بأكلَّةِ الاوراقِ والعيدانِ
لكنني أسعى وراء لبانتي بنُهى الشيوخِ وهمَّةِ الشبَّانِ
لو قامَ في ذهني توالُ جوائزٍ لجريت في الميدان مع أقراني
وتركتهم خلفي سلاحفَ تبتغي ادراكَ شأوِ سوابقِ الغزلانِ
ولطِرتُ في فلك الدروس محلِّقًا نسرًا يذلِّلُ معشرَ العُقبانِ
وجرى قطارُ الجِدِّ متي مُزريًا بتزاحم العجلاتِ والركبانِ
قال الرسول المصطفى برسالةٍ قد خطَّها باشارةِ الرحمانِ
إني اصارعُ لا لأحرزَ باطلًا ورقَ الذبول ويابسَ الاغصانِ
بل انني اسعى لاظهر حائزًا اكليل مجدٍ دائم الأزمانِ
يا من غدوا متبجحين بنيلهم كتبًا تُباع بابخس الاثمانِ
هيُّوا الى موسى صُغيرٍ فالجوا بزُّ عندهُ لماشرِ الجرذانِ
الحملُ منها نشتريهِ بشلكٍ والحبرُ في اسعارهِ غرشانِ
قدكُمْ أيا اصحابُ زهوٌ ليس ما احرزتمُ بالدرِّ والمرجانِ
كلَّا وليسَ أعزَّ من بيضِ الأنوقِ م ولا يُكلَّف شيبةَ الغربانِ
لا لا وليسَ « بيور ارثورٍ » فقد فتحتهُ أمسِ عساكرُ اليابانِ
وسبسطبول الروس دُكَّت بل إذن هذا التفاخر معشرَ الفتيانِ
كلٌّ تأبَّط حزمةً يزهو بها فكأنهُ ملكٌ عظيمُ الشانِ
أو قلْ هو الحمَّالُ راح محمَّلًا ومثقَّلًا بصغارةٍ وهوانِ

مش (يدخل مكللا متأبطا جوائزه ويقول):

حملي خفيف أيا خلي ويا طربي ... لو زاد ما قلتُ يا ويلي ويا حربي
هذي الجوائزُ يا صحبي افضّلها ... على جواهرِ هذي الارض والذهبِ
حصّلتُها بعد كدٍّ وافرٍ وعنا ... وراء علمٍ بشقّ النفسِ مكتسبِ
يا طالما قد سقَينا الكتبَ من عرقٍ ... فازهرت ذهباً في روضةِ الادبِ
ضفرتُ منهُ اكاليلًا تتوّجنا ... في محفلِ الاهل والاحبابِ والطربِ
وعرّشتْ فوقنا الآمالُ ناضرةً ... منها تدلّت عناقيدٌ كما العنبِ
وربّما ثعلبٌ وافى وحاولَ أن ... ينالَ منها فلم يظفر بذا الارَبِ
فراحَ والقلبُ منهُ مفعمٌ كدرًا ... وقال يسترُ نيرانًا من الغضبِ
ما ذي العناقيدُ الّا حصرمٌ تنِفٌ ... ولو يفوز لنادى آه يا طربي

م (بغضب) أميشالُ ما التلميحُ

مش هذا جزاء من

يندّدُ في أمرٍ حميدٍ يثبّطُ

وفي بيرةِ العام المباركِ يلتهي ... بعا عن مراقي النُجح والمجدِ يُسقطُ
فيأتي ختامُ العامِ ويلًا يعمّهُ ... وفي محفلِ التوزيع يا صاحِ يتنطُ

س (واقفا) أميشالٌ لقد قلتَ الصوابا ... وحقّك ان تفوز وان تُثابا
ولكنني انا لم ألهُ قطعًا ... بشيء لا ولم اطرح كتابا
وبتُّ الآن أندبُ سوء حظي ... ولا ارجو لاتعابي ثوابا
سأرجع نحو أمّي اليوم صفر م اليدين وذاك يملأني اكتئابا

مش (يأخذ بيد سمعان ويكلّمهُ هما):

أيا سمعانُ لا تيأس فإني ... رأيت هناك ما ينفي التظني
رأيتُ هناكَ جائزةً كأني ... عليها شمتُ سمعانًا كأني

م (وقد كان ينصت اليهما):

بربّكَ قلْ رأيت كذاك إسمي ؟

مش نعم

م شكرٌ اليك الان مني

مش أراكَ رجعتَ أيا صاحِ عمّا م ارتأيت ونعم الرجوع تمتّا
م هو المرء فاسلمْ حسودٌ يحبُّ م التفاخرَ طبعاً حديثاً وقدما
فإن رام امرًا وقصّر عنهُ يصيرُ يندّدُ بالامرِ ذمّا
وقد كنتُ حاولتُ نيلَ جزاء لتلأ أسامَ من الاهلِ وحما
وكنتُ أؤمّلُ أني اكونُ من الاوّلينَ ذكاءً وعلما
ولكن بكلِّ السباقاتِ كانت ظنوني تخيبُ وأفحمُ لحما
لهذا عرانيَ يأسٌ وحزنٌ وصرتُ كمن قد اصابتهُ حُمّى
فارجو السماحَ بما قد هفوتُ فقد قلتُ ما قلتُ غصباً ورغما
س كذاكَ أنا قد تذمّرتُ جهرًا ولم اقبل لإلهيَ حُكما
فارجع عما نطقتُ بهِ واسأل ربّيَ صفحاً وحِلما
وأشكرهُ من صميم فؤادي فقد ملأ الصدرَ بشرًا وحزما
م بعد ما قد فرَّ جيشُ الكربِ وتولّتكم حميّا الطربِ
لا يليق تركُ ذاكَ قانطاً (مشيرًا الى جرجي)
يطلبُ السلوى بنثرِ القصبِ
ربَّ طيرٍ راقصٍ من ألمٍ كلُّ حالٍ سُبيتْ عن سببِ
ج (يعني حزينًا متأثرًا مما سمع ورأى):
يا فؤادي بسهامِ رشقوكَ وباظفارِ المنايا مزّقوكْ
س ارى غناءكَ يا خلّي اخا ندمِ والآنَ كنتَ طروبَ القلبِ والنغمِ
ج لا يخدعنك يومًا ثغرُ مبتسمِ فالطيرُ يرقص مذبوحاً من الالمِ
م (ضاحكًا) ما كنتُ أحسبُ أنَّ الغمَّ ينزلُ في
قلبٍ تعوّدَ غير الغمِّ والسأمِ
مش (لجرجي) سرِّ الهمومَ وطبْ نفسًا فقد قشعت
انوارُ غُطلتنا جيشًا من الظلمِ
ج اليوم نورٌ وليلٌ آمٍ واحربي نورٌ يُجتهدِ ليلٌ لمتّهمِ
س ماذا ألم تجتهد في الدرسِ مطّلباً دُرَّ العلوم ألم تكتبْ ألمْ ألمِ
ج بلى ملأتُ بيوتَ الدرسِ من ورق سطّرتهُ لأني عن كثرةِ الكلمِ

م وكم رأيناك وقت اللعب في شغلِ
ج قد كنتُ ادرسُ قاموساً أحا نِقَمِ
س الحمدُ للهِ بعد الضيقِ ترتعُ في حرّيةٍ شُريتْ بالسيفِ والقلمِ
ج يا حبذا الاسرُ في اعماق مدرستي حتى أعوّض من ماضيَّ بالندمِ
فالنفس من جزعٍ قامت توبخني مُرًّا لأني بعبء الدرسِ لم أقُمِ
مش دعْ ما مضى وابتهج صدرًا فنحنُ على وشكِ اجتناء المنى في منتدى النعمِ
ج يا من يبشّرني اني انالُ ولو قُصاصةً فيُزاحَ العار عن لحمي
مش لا بدَّ يا صاحِ ان تحظى بجائزةٍ
ج (يقف ويصيح) وحيٌّ اتاكَ أمَ أنتَ الثاقبُ الفهمِ
مش لستُ النبيَّ ولا بالفهمِ منفردًا بل انتَ تخبطُ في داجٍ من الظلمِ
نسيتَ انكَ موسيقي وقد طرِشت جدراننا وبلوتَ الناسَ بالصممِ
ج (صائحًا فرحًا) لا ما نسيتُ وحقِّ «الباسِ» (١ مُنتفخًا
والطبلِ والزمرِ والاوتارِ والنغمِ
م هيّوا إذن تنتظر إشراق منيتنا
ج إشراقَ جائزةٍ حصّلتها بدمي
مش ولا نكن غامطينَ الدهرَ نعمة من آلائهُ فوقنا تنهلُّ كالديمِ
م للدهرِ نشكرهُ
س والحمد تنشرهُ
ج والفضل نذكرهُ
الجميع في حسنِ مختتمِ

١) اي آلة التوبة (Basse)